

## بين الاتكالية والاستقلالية (2/1)

لعلّ جل ما يتمناه المرء هو العيش بكرامة، ولعلّ جل ما يتمناه شباب اليوم هو تحقيق الاستقلالية، والتمتع بحرية الحياة. وهذا طبعاً حق لكل إنسان، ومن حق كل نفس أيضاً أن يوليها صاحبها الاهتمام اللازم لجهة تطويرها وخصوصاً عبر تحمل المسؤولية.. مسؤولية أعمالها بالدرجة الأولى ثم المسؤوليات الخارجية (الزوج، الأولاد، ومساعدة الآخرين.. الخ.) ولعلّ أقدم مسؤولية يتحملها إنسان، هي مسؤولية نشر نور الوعي.. خصوصاً وأننا على أبواب دخول عصر جديد هو عصر النور والمعرفة.

تنصّ علوم باطن الإنسان، الإيزوتيريك (علوم الوعي) على أنه قبل الوصول إلى مرحلة تحمّل المسؤوليات الخارجية، يتوجب على المرء أن يحقق مستوى متقدماً من الاستقلالية على مختلف المستويات. فعلى مسار تبلور الشخصية ونموها السليم، يتوجب علينا القيام بالعديد من الأمور كأهداف صغرى، وذلك على قدر مستوى وعينا، فنتعلم تدريجياً كيف نتكل على أنفسنا، وكيف نتخذ القرارات والخيارات السليمة التي تخدم الهدف. إن هذا الأمر هو ما يستحث الفكر للعمل على استنباط الحلول للمشكلات التي تعترض المرء، وإيجاد الوسائل لتحقيق المراد.

وعلى العكس، فالاتكالية (أي الاتكال على الآخرين) تعطل من عمل الفكر، وتلغي حس المبادرة عند الفرد، لأنه ما من أعمال يقوم بها تتطلب منه التفكير والتحليل والتحدي.. الخ.. إن إلقاء اللوم على الآخرين هو إحدى الصفات الأشد بروزاً لدى الشخص الاتكالي، تليها الثرثرة وإصدار الأوامر. فالأنا تكون عنده واضحة، خصوصاً إذا كان الثراء والدلال المفرط من قبل الأهل وراء هذه الاتكالية، حيث نرى الشخص الاتكالي يمتنّ نفسه وغيره، عندما يقوم بأي عمل. وهذا ما يعظّم من شأن الأنا عنده، كما لو أنه ليس هناك من عمل يليق به. لذلك فإن الأشخاص الاتكاليين هم الأكثر عرضة للأمراض، والاكتئاب، والتوتر، خصوصاً عندما لا يجدون من يلقون بثقل أعمالهم عليهم (مهما كانت هذه الأعمال بسيطة). وهذا ما يجعل شخصية الاتكالي برمتها ضعيفة، لأنه لم يعتد مواقف المواجهة التي تصقل الشخصية والتي لا توفّر لها إلا أجواء الاحتكاك مع الآخرين في ميدان العمل.

**ندى شحادة معوض**

[www.esoteric-lebanon.org](http://www.esoteric-lebanon.org)

## بين الاتكالية والاستقلالية (2/2)

إن الاتكال على النفس، من خلال تحقيق الاستقلالية المادية باعتبارها خطوة أولى.. ينتشل المرء من دوامة إلقاء اللوم على الآخرين أو على الظروف وظلم الحياة. وهذا بالطبع ما يعالج بطريقة غير مباشرة، سلبيات عديدة مثل التلكؤ والموارية والتهرب والتذرع بالحجج الواهية. فالاتكالية تمثل بامتياز «كسل» الفكر الذي يؤثر التهرب من المسؤولية، إذ يكبّله الخوف من الخطأ أو الفشل، حتى وإن لم يع المرء ذلك. وهذا ما يضيق الخناق على الشخصية، فيعيق تطورها، ونضجها وتفتحها السليم. فالاتكال على النفس هو على الأقل انفتاح أولي أمام ما تقدّمه الحياة من فرص، وتحديات يحتاجها كل منا ليجتاح بها بقاعاً مجهولةً في نفسه، تتوق تريتها إلى التنفّس. من دون أن ننسى تقبّل التوجيهات ممّن هم أوعى، وأكثر حكمة منا، خصوصاً حين نطلب نحن المساعدة.

أما الاستقلالية التي تعدّ درجة أبعد من الاتكال على النفس، فتفك أغلال أجهزة الوعي في الإنسان (الأجسام الباطنية) في حرية الاختبار الذاتي والتعلّم باعتبارهما درجة أعلى على سلم الانفتاح الواعي على التجربة وتفعيل التحدي في النفس. لذلك فإن معالجة الاتكالية لتحقيق الاستقلالية، تساعد المرء على تفتيح المعلّم الداخلي، وتسريحه من قيود لاوعي النفس التي تطبق عليها، بقيود الأنا وعُقد المثالية. ولعل أسوأ ما قد يفعله المرء (مهما كان عمره) هو تصوير نفسه باعتباره ضحية وخصوصاً أمام نفسه. وذلك لا يُفسّر سوى بالضعف، وعدم القدرة أولاً على احتواء ما يواجهه، وثانياً على اقتلاع نفسه ليس من براثن السلبية فحسب، وإنما من شباك المثالية، وما تمثّله هذه الأخيرة من وهم تستخدمه النفس حيال كل ما تعجز عن تطبيقه، كما تشرح علوم باطن الإنسان، الإيزوتيريك.

بين الاتكالية والاستقلالية يمتد مسار تفعيل وعي النفس، باعتباره محوراً ثم يتم تعزيز الثقة بالنفس من خلال الاتكال عليها وإتقان الأعمال. ومن الاستقلالية نحو تحمّل المسؤولية مسار آخر يخطه نظام الوعي، ويوجده الهدف، ويعبّده نضج الشخصية. أما النتيجة، فنفس تتطور في الوعي، والحرية في مطلق أمرها «أيدولوجية وعي».

**ندى شحادة معوض**

[www.esoteric-lebanon.org](http://www.esoteric-lebanon.org)